من داخل العراق

▪ وائل نعمة

ما أطلع مفلس عيب !

أفادنا إخواننا المصريون إثناء حقبة الثمانينات من القرن المنصرم، حينما تم غزو الأفران والمقاهي والمعامل بملايين العمال، وكان شبابنا حينها يموتون يومياً على جبهات القتال، بالحرب المنسية بيننا وبين إيران، ببعض المصطلحات التي أصبحت تدخل في جملنا العراقية شئنا أم أبينا، مرة من اختلاطنا بهم في البلاد، ومرة أخرى عبر هجوم المسلسلات والأفلام على القناة الوحيدة التي كان يتكرم بها "صدام"، علينا ويتركنا نتفرج من دون لقاءاته وخطبه التي هزت أميركا!

"على الحديدة" عبارة مختصرة ورثناها من "الكدعان" تدل على أن الشخص لا يملك مالاً، بل انه مفلس، ربما كنا في تلك الفترة أبعد أن نتحدث عن البطالة وأطفال الشوارع والعوائل التي تعيش على القمامة، وتختصر وجبات الغذاء من ثلاثة إلى واحدة، بينما كان المصريون يعانون الأمرين من سياسية التقشف وأزمة السكن وضعف الرواتب.

"من الحديدة" إلى "التفليسة" أعوام عجاف مرت على العراقيين. أتذكر في فترة الحصار كانت أسواق الهرج في بغداد والمحافظات تعج بشتى البضائع المستعملة من المنازل، ووقف النساء والشيوخ ليبيعوا أواني الطبخ والملاعق، بل وصل الأمر الى هدم نصف الدار وبيع "الشيش" والطابوق. الموظف صار في ذيل الهرم الاجتماعي، وأصبح مادة دسمة للنكات على مستويات الفقر، والمعلم فقد احترامه من طلابه بعد أن رسموه بشكله الكلاسيكي "علاكة وبايسكل".

بين "التفليسية" و"الحديقة" وهو المصطلح الأحدث والأخير الذي ظهر في فترة ما بعد ٢٠٠٣، بعدما صارت البلاد تتجه نحو توسيع الفجوة بين الفقراء والأغنياء، وتتكدس الأموال لدى أصحاب السلطة والتجارة. قصور وسيارات تعلو البيوت، وآخرون معدمون ينتشرون في التقاطعات يمسحون الزجاج مقابل "ربع دينار".

زادت البطالة، وهجّر الناس من مناطقهم، وعاشوا بين الازبال وفي المعسكرات الخربة، دون صوت ينصفهم. السياسيون والنواب والوزراء ضربوا أروع صور التناقض بين ما يدلون به من تصريحات وخطب رنانة تظهر حرصهم على الفقير، وتبطن صعودهم لكراسي السلطة على أكتاف سكان الحواسم، ومساكين الرعاية الاجتماعية. يتحدثون عن ضرورة توزيع إيرادات النفط بين أفراد الشعب، بينما نتفاجأ بعد ذلك بأنهم متهمون بتبديد المال العام، ويتاجرون بقوت الشعب، ويزرعون أموالنا في ارض الجوار، تاركين لنا فتات الخبز نموت بحديد السيارات المفخخة وهم شيدوا ناطحات سحاب تحصنوا داخلها.

وصل التناقض أخيراً إلى الأغاني التي تشهد هي الأخرى طفرة نوعية بعد انتشار الفضائيات العراقية المتخصصة بالأغاني، التي لم تترك كلمة شعبية أو مثل دارج سواء كان مقبولا أم لا، وحولته إلى أغنية، حتى جاء صاحبنا أخيراً بأغنية عن "النفليسة"، يشتكي فيها بأنه لا يملك مالاً ولا يستطيع الخروج مع حبيبته في سهرة، ويعتذر لها قائلا "ما أطلع مفلس عيب". التناقض يكمن في أن المغني يتحدث عن الفقر والتصوير على ما يبدو في تركيا ويظهر في بيت فخم على البحر، ولكم أن تتصورا من يسكن على واجهة بحر؟! بينما يقول لنا من أحداث التصوير بأنه يعمل في الشارع على عزف "الكيتار" والمارة يتصدقون عليه! الكل يدور حول المشكلة ويضحك علينا بكلمات ساذجة بينما الموت البطيء يداهم أطفال مرضى السرطان دون أن تملك أسرهم سعر الدواء، وعشرات الألوف يسكون بحضن المجاري الطافحة وسكراب الآليات العسكرية الملوثة ولا يجدون من يغني لهم!

طالبات يرفضن الاختلاط مع الذكور

قيود اجتماعية وأمنية وقفت ضد السفرات الجامعية

معظم الكليات والمعاهد في العراق أنهت أو شارفت على إنهاء حفلات التخرج، وهي من الفعاليات والنشاطات التي يحرص معظم الطلبة الجامعيون على الاستمرار في إقامتها في كل نهاية مرحلة ،على الرغم من بعض العراقيل التي واجهت هذه الممارسة الطلابية على مدى السنوات التسع الماضية ، من تدخل بعض الجهات المتشددة ومحاولتها منع الاحتفالات ، فضلا عن الأعمال الإرهابية التي عكرت أجواء الاحتفال ،بالإضافة الى محاولة بعض الأحزاب السياسية والدينية السيطرة على الجامعات وتحويل الاحتفالات إلى مصالح ضيقة لا تتعلق بالضرورة في خصوصية الطلبة.

سفرة طلابية في كردستان

□ بغداد / المدى

بعد الاحتفالات بالتخرج يرغب الكثير من الطلبة بإقامة سفرات ترفيهية الى إقليم كردستان (وهو المكان الوحيد الذي يقصده السائحون في داخل العراق)، ولكن هذا الموضوع يعاني من بعض الإشكاليات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية الخاصة بالجامعات فضلا عن الوضع الأمني.

الظروف الأمنية

أدت الظروف الأمنية الصعبة التي شهدها العراق إلى إلغاء السفرات لمختلف المرافق السياحية في البلاد، وكانت تعد ضمن المنهاج المخصص للنشاطات الجامعية ، فهناك مسببات ودواع أدتا الى عزوف إدارات الكليات عن إقامة السفرات التي اشتهرت بها السنوات السابقة، فالوضع الأمني اليوم أصبح أكبر عائق أمام الطلاب للتمتع بيوم جميل في ربوع الحدائق والمتنزهات التي اشتهرت بها العاصمة بل كنا نرى وفود الطلاب يأتون الى بغداد من محافظاتنا الجنوبية والشمالية وكذلك المحافظات الوسطى، فالجميع يزور الأماكن السياحية والترفيهية من اجل قضاء يوم في ربوع تلك الأماكن.

يشير الطالب مازن محمد الى أن عزوف الطلبة بمختلف أعمارهم ومستوياتهم عن المشاركة في السفرات كان نتيجة لتردي الوضع الأمني في البلد، فقد اعتذر العديد من الطلبة المشاركة في السفرات وذلك حفاظا على حياتهم، وخوفهم من عدم قدرة الحراس ورجال الأمن على حماية المرافق السياحية بشكل جيد وكذلك مخاطر الطريق والمسافات البعيدة التي يقطعها المسافرون. هذه الأسباب أدت إلى تقليص أو إلغاء السفرات.

استهداف المعاهد والجامعات لتعطيل الحياة فيها هو محاولة للقضاء على السعي الجاد لبناء العراق الجديد. فمن الصعوبة جدا على الجامعات القيام بسفرات وهي تلاقي صعوبات في حماية الطلبة وهم داخلها، وقد تعرض الكثير من الطلبة للقتل والخطف أثناء ذهابهم أو عودتهم إلى الجامعات.

من جانبه، يقول الأستاذ هيثم محمد التدريسي في جامعة بغداد كانت الأوضاع الأمنية المتردية وظاهرة استهداف الأساتذة أدت الى منعنا من الخروج في السفرات الجامعية، فالجميع هنا كان متخوفا من تنظيم السفرات، فنحن لا نستطيع تحمل أعباء حماية الطلاب في ظل هذه الأوضاع الشاذة بل نحن في كثير من الأحيان نمتنع عن الذهاب الى الجامعة خوفا على حياتنا من العصابات الإجرامية التي تستهدف كل العقول العلمية القادرة على العطاء كما أن معظم العوائل العراقية ترفض فكرة الرحلات الجامعية، خوفا على أبنائهم، خاصة بعد ازدياد ظاهرة الخطف الجماعي للعراقيين في ظل الأوضاع الأمنية المتردية، ولكن اليوم كما يقول محمد الأوضاع أفضل بكثير لكن الطلبة تعاني من ظروف اقتصادية تمنعهم من دفع مبالغ قد تكون كبيرة للذهاب في سفرات.

قيود اجتماعية

أما الطالب رشيد عناد من كلية العلوم فيقول :نحن نتمنى أن تعود الأيام الجميلة وخاصة أيام الرحلات الجامعية حيث كنا ننتظم برحلات إلى المرافق السياحية المنتشرة في عموم بلادنا وكنا لا نمل من هذه الرحلات الجميلة، أما اليوم فهناك بعض القيود الاجتماعية التي ظهرت مؤخرا في المجتمع وفي الجامعات بشكل خاص، بأن تمتنع الطالبات من الذهاب الى الرحلات الترفيهية ، مما قد تلغى السفرة بسبب قلة العدد ، لاسيما في الكليات التي يكون فيها عدد الإناث أكثر من الذكور .

وترفض الطالبة زهراء علي فكرة الاختلاط مع الطلاب الذكور في السفرات ، وهي تمتنع بشكل قطعي من الذهاب في سفرة ترفيهية ، وتضيف "أهلي لا يسمحون لي بالذهاب في رحلة ، كما أني ارفض الذهاب بمفردي مع الذكور".

وتعارضها طالبة العلوم لمى هادي بالقول " نحن في آخر أيام الحياة الجامعية ، ويجب أن نستثمر كل دقيقة في هذه المرحلة المهمة في حياتنا"، ولا ترى لمى مشكلة في السفر مع الطلاب الذكور الى أربيل او السليمانية، وتتابع " إنهم إخوتي وعشنا أربع سنوات معا ، وإذا بعض الفتيات يخشن الذهاب بمفردهن يمكن أن تجلب شقيقها او أمها او أي احد من أفراد أسرتها".

السفرات العلمية

وتشكل الأنشطة الطلابية الثقافية وكذلك الترفيهية جانبا حيويا من النظام التعليمي يكون الطالب عادة بحاجة اليها، جنبا الى جنب مع نشاط العلمي والدرس المنهجي، لكن شكوى متزايدة من اغلب طلبة الجامعات والمعاهد العراقية تشير إلى غياب الاهتمام من قبل وزارة التعليم العالي بأي نوع من الانشطة الطلابية والثقافية والترفيهية والاقتصار على التركيز على الدراسة العلمية والمحاضرات رغم أهمية تلك المفاصل الحيوية لتجديد نشاط وقابليات الطلبة في هذه المرحلة المهمة .

من جانب آخر، تغيب عن الجامعات السفرات العلمية أيضا، حيث يقول طالب الماجستير في علوم الأرض حارث مجيد: شهد منتصف سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن السابق ظاهرة السفرات والرحلات العلمية لطلبة بعض الأقسام العلمية والإنسانية في الجامعات العراقية، وكان تأثير مثل هذه الرحلات تأثيراً ايجابياً وملموساً سواء على صعيد تطور المهارات التعليمية في العلوم الاجتماعية او العلمية او في مجال الخبرة الاجتماعية للطالب من خلال الاحتكاك والمعايشة المباشرة لواقع آخر وتجربة مغايرة.. وبسبب الحرب العراقية الإيرانية... والظروف القاسية التي مر بها العراق خلال فترة الحكم السابق.. اختفت هذه الظاهرة الرائعة من حياة الجامعات العراقية..يتساءل الطلبة والأساتذة.. عن المبررات التي تقف دون عودة هذه الرحلات العلمية التي كانت ضمن اتفاقات وبروتكولات بين جامعاتنا والجامعات العالمية.. دون أن تكلف البلد... او تثقل الميزانية المخصصة لوزارة التعليم العالي.

السعي وراء "صاحبات الرواتب"

شباب يضعون الفتاة الموظفة على سلم أولويات الزواج

□ بغداد / المدى

اجتمع رجال العائلة، يتوسطهم رجل بيشماغ ابيض وعباءة بنية، في غرفة طويلة تضم الكثير من الكراسي والمقاعد الخشبية ،ابتدأ الرجل صاحب الزي العربي الكلام، متحدثا بهدوء عن مواصفات الشاب الذي تقدم لخطبة أساتذة في إحدى الجامعات العراقية ، مسطرا انجازات وامتيازات يبرع بها دون غيره ، مؤكدا لهم أنه سيصونها ويقوم على تلبية كل طلباتها.

الشاب كان عاطلا عن العمل ،ويعمل يوم ويجلس في المقهى شهر. وهو حال الكثير من الشباب في العراق الذين لا يجدون عملا، وشكلوا القاعدة العاطلة التي تتذبب نسبتها بين نصف وثلث السكان في البلاد. ويلجأ معظم الشباب اليوم حينما يرغبوا في الزواج الى البحث عن امرأة موظفة حتى تساعدهم في تدبير أمور المعيشة لاسيما إذا كان الشاب لا يعمل. واتسعت خلال الآونة الأخيرة وبصورة ملحوظة ظاهرة إقبال الشباب والرجال على الزواج من الموظفات في دوائر الدولة وامتناعهم من الزواج والتقدم لخطبة النساء غير الموظفات ولأسباب كثيرة، من أهمها حصول هذه الموظفات على رواتب مجزية تساعد الشخص المتزوج في الحياة العامة من العيش بنوع من الرفاهية الاقتصادية، خصوصاً وان أكثر الموظفات اليوم أصبحن في وضع مادي جيد بل ويملكن من المال ما يتم حفظه وادخاره ما شكل عامل جذب للشباب في الإقبال على هذه الموظفة او تلك مقارنة بالنساء غير الموظفات.

يشير عباس محمد (٢٢ عاما) الى أن اغلب الشباب اليوم باتوا يبحثون عن الموظفات للزواج والارتباط بهن على شرط امتلاكها للمنظر الحسن والجمال الذي يعد معياراً مهماً عند الارتباط لدى أي شاب. ويضيف ان الموظفة اليوم أصبحت عامل جذب لأكثر الشباب والرجال للزواج بها بعد أن تحسن وضعها الاقتصادي بزيادة راتبها الحكومي ومساعدة الرجل مادياً في الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة.

بالمقابل، لم تحظ سوى واحدة فقط من شقيقات الفتاة مريم محمد بزوج، ومن ثم طرحت فكرة الزواج جانبا. وتقول مريم (٣٧ عاما) والتي تعمل في إحدى الشركات الاهلية : "تتقلص فرص حصولنا على أزواج كثيرا بتقدمنا في العمر، إنني الآن في عمر لن يطلب فيه يدي إلا أرمل أو مسن. لن يتقدم لي احد إذ ان الرجال يبحثون عن عرائس ثريات او شابات"، وتتابع "إنني ألازم البيت طوال اليوم ونادرا ما اخرج".

وتستطيع مريم، الحاصلة على شهادة الثانوية، بالكاد أن تكسب قوتها من عملها. وتعيش مع شقيقاتها اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٣ و ٤٠ عاما مع أبويهن في بغداد.

لذلك تسعى الكثير من الفتيات الى القبول بشباب اقل تعليما ومستوى ثقافيا وماديا، خوفا من ان يفوتها قطار الزواج وتصبح ضمن عداد "العوانس".

ولا تتوفر إحصاءات عن عدد النساء غير المتزوجات في سن الثلاثين. غير أن وجود الإناث العوانس فوق سن الثلاثين أمر مألوف بعد عقود من الحرب العراقية بما فيها الحرب العراقية - الايرانية في ثمانينيات القرن الماضي. ولكن من المعتقد أن أعدادهن تزايدت كثيرا منذ عام ٢٠٠٣. وبجانب الرجال الشباب الذين قتلوا في ساحات المعارك فان مئات الآلاف - ومعظمهم في سن التجنيد - هربوا من العراق.

من جانب آخر، باتت مهنة الخاطبة التي انتشرت في مختلف المجتمعات الشرقية تواجه منافسات شرسة لاقتسام جزء من الكعكة، وذلك بعد دخول الرجال "الوسطاء" ومواقع الإنترنت المختصة بالزواج، ناهيك عن القنوات الفضائية المتخصصة بـ"تجميع رأسين في الحلال"، إلا أن أم محمد التي تمارس تلك المهنة منذ ما يربو على ١٠ أعوام، أكدت أن لا مخاوف من الإنترنت على مهنتها التي نالت ثقة واحترام وتقدير المجتمع، مؤكدة في هذا السياق أن "لكل واحد رزقه، ولا أحد يأخذ رزقاً ليس له".

وحول الآلية التي تتبعها للتوفيق بين المقبلين على الزواج أوضحت أنها تتلقى اتصالات من كلا الجنسين، وتعمل على أخذ بياناتهم التي تشمل العمر والوزن والطول والقبيلة والمدينة ثم تتولى هي عملية الترشيح. إلا أنها تؤكد تراجع أعمالها بسبب قيام الشباب بالبحث عن الزوجات الغنيات من خلال الانترنيت الذي بالكاد تستطيع نطق اسمه الصحيح.

الموظفات على رأس قائمة الزواج

شباب "فيسبوك"

تعليقات ساخرة بين مشجعي "الكلاسيكو"

□ بغداد / المدى

تكاد لا تمر بشارع أو سوق أو مقهى حتى تسمع حديث الكرة الاسبانية، صار النقاش حولها أهم من العملية السياسية المأزومة،واكثر جدلا عن انقطاع الكهرباء، معارك ومشاجرات وكلمات "خشنة" بين مؤيدي الريال وبرشلونة توصم الطرف الآخر بالفاشل والخاسر. ملابس الأطفال والكبار وحتى "دشاديش" النساء طبع فوقها شعارات "لوغوات" الفريقين.

موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" اكبر ساحة نقاش حول هذا الموضوع، حيث يتبارى الجميع بإظهار حسنات فريقه وسيئات الخصم، الغريب أن البعض قد أقحم شخصيات سياسية وفنية وإعلامية في الموضوع، باستخدام "الفوتوشوب" وبدل ملابسهم الاعتيادية إلى "الرياضية"، وحسب الفريق الذي يشجعه.

في إحدى الصفحات المتخصصة بمشجعي "برشلونة" وضع "الجوال" - لقبه على الصفحة - صورة إعلامية عراقية معروفة وهي ترتدي ملابس الفريق، بينما شخص آخر وعلى الموقع المضاد وضعت صورة الإعلامية نفسها وهي ترتدي ملابس فريق "الريال"، ويقول حارث - صاحب الصورة - الكل يشجع الريال.

النساء أيضا فاعلات على موقع التواصل وفي هذا الموضوع بالخصوص، وأكثرهن يهتمن بوسامة اللاعبين أكثر من اللعبة نفسها، وتضع "جنان" صورة اللاعب ميسي وتكتب بالأسفل "١٠٠ لايك - إعجاب - لعيونه الحلوة". وتقابلها "مريم" وهي مدريدية وتضع صورة كريستيانو في موقع خاص بمشجعي الفريق وتكتب أسفله "ماكو أحلى منك".

العبارات الساخرة بين مشجعي الفريقين تذهب صوت الأغاني هذه المرة، فكتب احد مشجعي ريال مدريد تعليقا على الفيسبوك مستوحياً من أغنية "الدفان" العراقية عقب فوز الأخير على برشلونة في آخر لقاء جمعهما ليقول "راح الدوري الي جنت أهواه ...يا ربي اخذني وياه ....وانه بياحال والريال يسحلني". وأخيراً كتب محمد البرشلوني ردا على الهزيمة: "خسرنا بشرف".